الحصة الرابعة

العشق الإلـهي

ارتبط الحب الإلهي في تاريخ الفكر العربي الإسلامي بالصوفية ، والواقع أنــه لم يكن إبـداعا صـوفيا من حيث المبـدأ ، فقـد ورد مفهـوم الحب الإلهي في القـرآن الكـريم ، كقولـه تعالى :" فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه " وقوله جل وعلا : " والله يحب الصـابرين " وقولـه جـل جلالـه :" والله يحب المحسـنين " وغيرهـا من الآيـات ، فالله تعـالى بيّن طبيعـة العلاقة التي يجب أن تكون بين الله وعباده وهي علاقة تقوم على مبدأ الحب الذي يمنحـه الله لعباده إذا كانوا من الصابرين المحسنين المتقين وغيرها .

فالصوفية اعتبروا موضوع الحب الإلهي من أجلّ أنواع السلوك الـتي يتـوجب على المـؤمن اتباعهـا إذا أراد ىـأن يحـوز على حب الله ، يقـول أبـو طـالب المكي :" إن المحبـة أكمـل مقامات العارفين ...وهي إيثار من الله تعالى لعباده المخلصين " .

دلالة العشق

لغة : العشق :فرط الحبـ ، وقيـل : هـو عجب المحب بـالمحبوب ، ويكـون في عفـاف الحبـ ودعارته ، وقيل التعشق تكلف العشق .

الحبـ : هو عبارة عن ميل الطبع في الشـيء الملـذ ، فـإن تأكـد الميـل وقـوي سـمي عشـقا . وأول مراتب الحب هو الهوى وهو ميل النفس .

اصطلاحا : أ/ العشق درجة من درجات المحبة

يقول الإمام الهروي : " المحبة هي تعلق القلبـ بين الهمة والأنس "

بما يعني تعلق القلب بالمحبوب تعلقا حائرا بين طلب المحبـ المحب لمحبوبه طلبـا لا ينقطـع وبين أنسه بمحبوبه .

وللمحبة درجات :

1/الأولى محبة تقطع وساوس القلب ، وتلد الخدمة ، وتسلي عن المصائب وتنشـأ بملاحظـة العبد لنعم المولى الظاهرة والباطنة وتثبت بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم .

2الثانية تبعث على إيثار الحق على كل ما سواه ، وتنشأ بسبب مطالعة الصفاتـ الإلهية .

3الثالثة محبة تنشأ بمشاهدة جمال المحبوب ، وفي هذه الدرجة يختطف قلب المحبـ وتنقطع عبارته وهي الفناء في المحبة والشهود ، فالمحب إذا كان واعيا بحبه ومكتسبا له سمي محبا ، وإذا كـان مختطفـا سـمي عاشـقا ، والفـرق بينهمـا كمـا يقولـون أن المحب مريـد والعاشـق مراد .

ب/ العشق محبة مؤكدة مفرطة :

يعرفه الغزالي :" فاعلم أن من عرف الله أحبه لا محالة ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته ، والمحبة إذا تأكدت سميت عشقا ، فلا معنى للعشق بلا محبة مؤكدة مفرطة ، ولذلك قال العرب :إن محمدا قد عشق ربه لما رأوه يتخلى للعبادة في جبل حراء .

ج/العشق مراتب ومقامات :

العشق حالة من الحب الإلهي ، تنتقل زيادة أو نقصانا في مراتب متدرجة وهي شبيهة بأحوال العشق البشري مع الفارق في القداسة وهذه المراتب هي :

العلاقة : الحب اللازم للقلب ، وسميت بالعلاقة لتعلق القلب بالمحب .

الشغف :حرقة الحب للقلب مع لذة تداخلها .

اللوعة : حرقة الهوى .

الصبابة : رقة الشوق وحرارته .

الشوق : السفر إلى المحبوب والاشتياق نزع النفس بكليتها إلى المحبوب .

التبل وهو أن يسقمه الهوى ومنه رجل متبول .

الوصب : ألم الحب ومرضه .

الهيام : وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه .

الوله : وهو ذهاب العقل من الهوى

التتيم : وهو أن يستعبده الحب .

أشهر مدارس العشق الإلهي :(رابعة العدوية 100هـ ،180هـ) (ابن الفارض 576ه ، 632ه) ،(جلال الدين الرومي 604ه 672ه) .